إعادة إعمار غزة، أم استكمال للحرب بطرق أخرى

محمد حاموش

منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives

إعادة إعمار غزة، أم استكمال للحرب بطرق أخرى

ورقة متابعات

(2025)

منتدى البدائل العربي للدراسات الاجتماعية **AFA**

كتابة: محمد حاموش

باحث بمنتدى البدائل العربي للدراسات

مراجعة: جورج فهمي

مراجعة لغوية: أحمد الشبيني

تصميم: منتدى البدائل العربي للدراسات

الآراء الواردة في هذا الإصدار تعبر عن أ ري كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن أري منتدى البدائل العربي للدارسات أو أي من المؤسسات الشريكة

شكّل قطاع غزّة طوال عشرات السنين من الصراع تحدّيًا كبيرًا ومؤلمًا للكيان الإسرائيلي. فقد استخدمه بدايةً كبقعة لتجميع الفلسطينيين المهجّرين من قراهم المحتلّة منذ نكبة فلسطين عام 1948، إلّا أنّه استحال تحديًا لهذا الاحتلال ونقطة فعّالة للمواجهة حيث نشطت فيه فصائل المقاومة واستخدمته كمنصّة لمهاجمة المستوطنات وإدارة العمليّات القتالية، ما أدّى إلى انسحاب الاحتلال منه في عام 2005. لكنّ الاحتلال لم يتوقّف عن محاولة تهجير سكّان القطاع طوال العشرين سنة الماضية، فأطبق الحصار على القطاع منذ عام 2007، وشن عديدًا من الحروب والعمليات العدوانية الّتي كانت حرب الإبادة الأخيرة أكثرها وحشية، حيث لا تزال الحرب مستمرة منذ أكتوبر 2023 مخلّفةً أكثر من 60 ألف شهيد وتضرُّر أو تدمير ما يفوق الـ 70% من مباني القطاع بحسب التقديرات[1].

على الرغم من تأكيد سكّان القطاع على رغبتهم في العودة والبقاء في أراضيهم المدمّرة، فإنّ مشاهد العودة الّتي رأيناها في 27 يناير 2025، خلال فترة وقف إطلاق النار الّتي سرعان ما انهارت بعدها، ليست كافية لترسيخ استعادة الفلسطينيين لأرضهم وممتلكاتهم وتحديد مستقبل القطاع بما يضمن بقاء فلسطينيي القطاع في أرضهم وإفشال مشروع التهجير.

تشكّل إعادة إعمار قطاع غزة التّحدي الأكبر لأهل قطاع غزّة الّذين واجهوا حربًا قاسية ودفعوا كلفة باهظة في مواجهة آلة القتل الإسرائيلية طوال عام ونصف، والآن يواجهون آثار هذه الحرب وتبعاتها عليهم، الّتي قضت على البنية التّحتيّة للقطاع بما يفوق قدرتهم على إعادة بنائه. وبالتّالي فإنّ إعادة إعمار القطاع لا يمكن أن تتمّ من دون مشاركة دولية تبدأ بتوفير كلفة إعادة الإعمار وتوفير المؤسسات والشّركات المتعهّدة ولا تنتهي بإدارة مرافق القطاع ونشاطه الاقتصادي، ولذلك لا يخفى على أحد تعويل إسرائيل الكبير على هذه المرحلة لفرض شروط إضافية والتضييق على الفلسطينيين بما يخدم مشروعها الإباديّ على المدى الطّويل. حيث تسعى إسرائيل، وهو ما بدا بشكل واضح في قرى الشريط الحدودي في جنوب لبنان، ليس إلى القضاء على البنى التحتية للمقاومة وحسب، بل إلى القضاء على كامل قرى الشريط الحدودي بأحيائها التّاريخية وبناها التحتية وأراضيها الزراعية كنوع من الإبادة المكانية، ما يضعف إمكانيّة حركات المقاومة من الاستفادة من هذه المناطق ويسهّل على إسرائيل مراقبتها وفرض سيطرتها عليها.

وفي حين لم يتوقف الحديث عن مستقبل القطاع وآلية إدارته ما بعد توقف الحرب باعتباره أحد الأسباب الرئيسية الّتي تعرقل الوصول لاتفاق لوقف اطلاق النّار، فجَّر الرئيس الأميركي دونالد ترامب في شباط 2025 مفاجأة أثارت صدمة عالميّة بإعلانه نية الولايات المتحدة السيطرة على قطاع غزة وإدارته بعد إتمام اتفاق وقف إطلاق النار ونيّته تهجير أهل غزة ونقلهم إلى أماكن أكثر أمنًا بحد تعبيره. وعلى الرغم من الرفض العربي والدولي لهذه التصريحات، إلّا أنّ الحديث قد عاد عن نيّة الولايات المتّحدة إدارة القطاع بعد انتهاء الحرب وفق خطة تهدف إلى تهجير سكان القطاع واستبدال عمرانه بمدن ذكية وفنادق فاخرة.

وقد أظهرت الخطة الأميركية لإدارة القطاع والّتي ظهرت في الأيام الأخيرة[2] وجودة نية حقيقية عند الإدارة الأمريكية للاستفادة من قطاع غزة والسيطرة عليه مما يدعو إلى التعامل بجديّة مع هذه الخطة ومراجعتها بحذر إذ تعكس نيّة ترامب الاستعمارية

[1] الشرق الأوسط، ما حجم القتل والدمار في غزة بعد 21 شهراً من الحرب؟ 13 يوليو 2025

[2] The Washington Post, Gaza postwar plan envisions ‘voluntary’ relocation of entire population, August 31, 2025, https://www.washingtonpost.com/national-security/2025/08/31/trump-gaza-plan-riviera-relocation/

الصريحة ونيّة الولايات المتّحدة تجاه قطاع غزة وتسلّط الضوء على الأساليب الحديثة للإمبريالية الأميركية أو ما يسمّيه ديفيد هارفي "الإمبريالية من دون مستعمرات"[3] .

وقد تجلّت هذه النّية في في النوايا والتوجهات الاستعمارية المتجدّدة في خطط أمريكية مسربة أكدتها تصريحات المبعوث الأميركي إلى لبنان في زيارته الأخيرة أواخر أغسطس 2025، حول زعم الولايات المتحدة إنشاء منطقة اقتصادية باسم "منطقة ترامب الاقتصادية" على أنقاض قرى الشريط الحدودي المدمّرة جنوب لبنان[4].

يستعمل الرئيس الأميركي أسلوب وسطاء العقارات ويؤكد على ذلك بشكل صريح عندما يتحدّث عن خبرته الطويلة في التطوير العقاري. إلّا أنّ المسألة تتجاوز صفة ترامب وتجربته الشخصيّة لتعكس توجّهًا عامًّا في النظام العالمي وأسلوبًا متقدّمًا في فرض افتتاح أسواقٍ جديدة والاستفادة من الحروب والدمار الّذي تسبّبه لاستدراج الاستثمارات وتطوير العقارات على حساب الطبقات الفقيرة والسّكان الأصليين. كما واستخدام الصفقات الاقتصادية لمعالجة الصراعات والمشاكل الدّوليّة، بل بالأحرى لتجاوز هذه المشاكل من دون القيام بالعمل على حل جذورها الأساسية.

تشير نعومي كلين في كتابها "عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث"[5] إلى تحوّل الكوارث من فرص للتضامن الاجتماعي وإلغاء الفروقات الطبقية، إلى فرصة لتوسيع الفروقات الطبقية وتوسّع الرأسمالية. تشير الكاتبة إلى عديد من الحالات الّتي استخدمت فيها الولايات المتّحدة الصّدمات، الّتي تحدثها الكوارث الطبيعية أو الحروب أو الأزمات الاقتصادية، لنشر نموذج الهيمنة الاقتصادية النيوليبرالية، انطلاقًا من تجربة تشيلي الّتي كانت بمثابة المختبر للسياسات النيوليبرالية، الّتي تم استخدام الانقلاب العسكري والقمع المتوحّش الّذي رافقه بهدف إرباك الشعوب، بما يسهّل عمليّة فرض الإصلاحات السياسية وتفريغ مؤسسات الدولة وتعهيدها لجهات خاصّة، كما حدث في العراق بعد الاحتلال الأميركي في عام 2003[6] .

بحسب نظرية كلين فإن الإفراط في استخدام العنف في حالات الحرب في العراق أو القمع السياسي في تشيلي والأرجنتين لم يكن له أي مبرّر سياسي أو عسكري. ففي تشيلي، تمت إدانة رئيس تشيلي السابق الجنرال أوغستو بينوشيه بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وبمسؤوليّته عن مقتل الآلاف من التشيليّين تحت التعذيب خلال فترة حكمه[7]، وهي الفترة الّتي تم فيها تطبيق برنامج إصلاحات اقتصادية حوّلت تشيلي إلى مساحة اختبار للسياسات النيوليبرالية[8].

أما في العراق، فقد اعترف الجيش الأميركي أن من 70 إلى 90 في المئة من المعتقلين العراقيين في سجن أبو غريب (الّذي ذاع صيته السيئ بما تعرض له المعتقلون فيه من انتهاكات واعتداءات) تم اعتقالهم عن طريق الخطأ[9]. إضافة إلى سلسة من القمع السياسي الّتي رافقت فترة الاحتلال الأميركي بعد الحرب، والّتي سرعان ما تمّت ترجمتها إلى خطوات اقتصاديّة عمليّة لخدمة الاقتصاد الأميركي والشركات الأميركية والدّوليّة. حيث قام بول بريمر زعيم سلطة التحالف المؤقتة على العراق بعد غزوه، بإصدار عدّة قوانين عملت على إعادة هيكلة القطاع العام العراقي وضمان حق الملكية للشركات الأجنبية وفتح

[3] Harvey, David. *A Brief History of Neoliberalism.* Oxford University Press, Oxford, 2005;2007
[4] ريتا جمول، العربي الجديد، منطقة ترامب الاقتصادية جنوبي لبنان بين النيات والأهداف المقنّعة، 29 أغسطس 2025.
[5] Klein, Naomi. *The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism.* Metropolitan Books, New York, 2007.
[6] Harvey, David. *A Brief History of Neoliberalism.* Opcit
[7] Amnesty International, How General Pinochet's detention changed the meaning of justice, 2013
[8] Klein, Naomi. *The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism.* Opcit
[9] Klein, Naomi. *Ibid.*

مجال الاستثمار الخارجي في المصارف العراقية وإزالة أغلب العوائق التجارية. كما لم تسلم الحركة العمالية من إجراءات بريمر الّذي عمل على ضبطها وعلى تقييد العمل النقابي ومنعه في بعض القطاعات[10]. ساهمت هذه السياسات في تسهيل الأرضية لدخول الشركات الأميركية واستفادتها من عملية إعادة إعمار العراق الّتي تم تمويلها بجزء كبير من خزينة الدولة العراقية ومن الديون الّتي فرضت عليها.

لا تقتصر أساليب الولايات المتّحدة في الاستفادة من الكوارث على الاستفادة من الحروب، فحتى في حالات الكوارث الطبيعية الّتي أصبح يتم النظر إليها كفرص للاستثمار وجني الأرباح كما حصل في نيو أورليانز بعد إعصار كاترينا في عام 2005 والّتي كانت نموذجًا لأسلوب عمل رأسمالية الكوارث، أو في سريلانكا بعد كارثة التسونامي، حيث استفادت عديد من الشركات من عقود لإدارة البنى التحتية وإعادة الإعمار[11].

تعيدنا هذه الاستنتاجات إلى السؤال حول الغاية من الإفراط في استخدام العنف والقوّة في الحرب على غزّة أو جنوب لبنان، وهل كان نتيجة طبيعيّة للحرب واستجابة لعملية طوفان الأقصى أم أنّه يأتي ضمن مشروع مستمرّ هدفه السّيطرة على كامل الأراضي الفلسطينية وتصفية القضيّة. كما أنّ الحديث عن الاستثمارات وإعادة الإعمار لا يرتبط بشخص ترامب إلّا من ناحية طريقة تظهير هذه النّوايا والأسلوب الاستفزازي الّذي يستخدمه في الضّغط على حلفائه قبل خصومه للقبول برؤيته وشروطه، أمّا من ناحية المشروع فإن ترامب قد جاء ليحصد ما زرعته الإدارة السّابقة الّتي أمّنت كامل الدّعم لإسرائيل من تغطية دوليّة لجرائمها وتعطيل مشاريع التسوية ووقف إطلاق النّار إلى تزويدها بما تحتاجه من قنابل وأسلحة لتنفيذ مشروع التدمير الّذي رافقته الحملات الإعلامية حول حجم شبكات الأنفاق الّتي تملكها حركة حماس داخل القطاع بما يستخدم لتبرير كامل الجرائم الّتي قامت بها إسرائيل.

إن مشروع ترامب للسيطرة على غزة وتحويلها إلى "ريفييرا" على حد تعبيره وإن كان لا يزال يواجه بصمود الشعب الفلسطيني واعتراض الدّول العربية الكبرى، لا ينبغي إهماله لما تشكّله مرحلة ما بعد الحرب من خطر على مستقبل القضية الفلسطينية ومستقبل الفلسطينيين داخل القطاع. يكفي النظر إلى تجارب المنطقة في إعادة الإعمار من العراق إلى لبنان، وكيف تحوّلت هذه الدّول إلى سوق للشركات والاستثمارات على حساب شعوب هذه الدّول، كما أن النظر إلى مدى الاهتمام الدّولي بإعادة إعمار دول المنطقة، والأهمية الاقتصادية والسياسية والعسكرية الكبيرة، الّتي تمثّلها المنطقة عالميًّا، يمكن منه استنتاج أن مشروع إعادة الإعمار قد يكون فرصة للرأسمالية لتهجير الفلسطينيين، واستغلالهم والتضييق عليهم في أرضهم، عوضًا عن أن يكون فرصة لإعادة الحياة إلى القطاع وترسيخ حق الفلسطينيين فيه وفي أرضهم كاملة.

[10] Harvey, David. *A Brief History of Neoliberalism.* Opcit.
[11] Klein, Naomi, DISASTER CAPITALISM The New Economy of Catastrophe, Harper's Magazine, October 2007.

منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives

منتدى البدائل العربي للدراسات الاجتماعية

مكاتب فرعية. شارع كنيسة الاخوة الانجليين. منطقة اوتيل ديو، الاشرفية بيروت. لبنان.

+961 76 386 477 info@afalebanon.org https://www.afalebanon.org/

هذا المُصنَّف مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي نسب المُصنَّف - غير تجاري - منع الاشتقاق 4.0 دولي.